

التطرف ، أسبابه وطرق علاجه

الدكتور عبد السلام محمد الشريف

جامعة الفاتح

أشكر الجامعة الأسمرية على دعوتنا إلى المشاركة في أعمال ندوة (الإسلام ينبذ التطرف)، وأنا على يقين من أن الجامعة بوصفها مؤسسة إسلامية، تتحمل مسؤولية عظيمة جداً في هذا العصر، نظراً لجسامة التحدي الذي تواجهه الأمة العربية والإسلامية، وتكمن خطورة هذا التحدي في طبيعته الفكرية، والثقافية لقدرته على التسرب إلى جسم الأمة، فيعمل على إضعاف مقوماتها الذاتية، ويجردها من عناصر القوة التي تعتمد عليها في الرقي والتقدم والازدهار، وهذا التحدي سواء جاء من الخارج، أو نبع من الداخل موحى به ومخطط له من قبل الاستعمار؛ لتعيش الأمة حالة من الانهيار النفسي، والتفكك والتشرذم والاختلاف والتمزق، والإنسان المسلم في حيرة من أمره، يبحث عن ذاته في ساحة مزدحمة بالتيارات الفكرية المتباينة، والمتناقضة مع طبيعة هذه

الأمة ومكوناتها الثقافية الأصلية، ولن يستطيع هذا الإنسان الخروج من حيرته، إلا بالرجوع إلى مقومات القوة

المتمثلة في الجانب الفكري، والروحي الذي يغذيه الإسلام بطاقاته وقيمه ومعتقداته.

وفي حياتنا المعاصرة اليوم، نجد تيارات فكرية مختلفة الاتجاهات والأهداف والغايات، فهناك تيارات إسلامية احتكرت الإسلام وتأولت النص القرآني، وفسرته تفسيراً سياسياً سجالياً؛ لخدمة أغراض وأهداف محددة ومعينة، ولجأت في تحقيق ذلك إلى الهرطقة والسفسطة، ونعت المخالف بالكفر والردة والجاهلية، وهناك تيارات علمانية تنطلق من منطلق التصور الغربي لموضوع الفكر والثقافة، وأملنا في الجامعة الأسمرية، من خلال مناهجها التربوية والتعلىمية، أن تقوم بمعالجة كل هذه التيارات والأفكار الهدامة، وتقدم التصور الفكري لمستقبل الثقافة في الأمة العربية والإسلامية، فالجماهير لا يمكن أن تقبل بثقافة لا تتصف بصفة الأصالة، ولا يمكن أن تحتضن فكراً لا ينبع من ضمير الأمة، ولا يتفق مع تصوراتها الاعتقادية والفكرية، فمثل تلك الثقافة الوافدة والغازية والمستوردة ستظل معزولة بالكامل في المجتمع، وفي هذا الإطار سنتناول التطرف أسبابه وطرق علاجه من خلال نقطتين:

أولاً: التيارات الإسلامية في صدر الإسلام

ثانياً: التيارات الإسلامية المعاصرة

جاءت في المعجم الوسيط كلمة (تطرف) بمعنى أتى الطرف، ويقال: تطرفت الشمس: دنت للغروب، وتنحي في كذا: إذ جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط. وفي الاصطلاح يعني التناقض بين القول والعمل، بين النظرية والممارسة، وبين الأماني والواقع.

ولكل شيء سبب، وسبب التطرف كما يراه القرضاوي، كما جاء في قوله: يجب أن نكون شجعاناً ونعترف بأن كثيراً من تصرفاتنا هي التي دفعت هذا الشباب إلى ما نسميه (التطرف)، فنحن ندعي الإسلام ولا نعمل به، ونقرأ القرآن ولا نطبق أحكامه، ونزعم حب الرسول ـ صلى الله علىه وسلم ـ ولا نتبع سنته، ونسجل في دساتيرنا أن دين الدولة هو الإسلام، ولكنا لا نعطيه حقه في الحكم

والتشريع والتوجيه[1] . وكذلك ينشأ التطرف بسبب الجهل بأحكام الدين، والتعصب المذهبي، والظلم الاجتماعي، وعدم تكافؤ الفرص، والتفاوت الطبقي.

وبما أن تاريخ الأمة الإسلامية سلسلة مترابطة، يؤدي بعضها إلى بعض، فلا يجب أن نغفل الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور الأفكار والعقائد والفرق المنحرفة، أو المتطرفة في هذه الفترة من تاريخنا، فالعدو ما زال باقياً على حاله بين أظهرنا، وإن تبدل وتغير في أسمائه ومسمياته.

1 ـ التشيع

هو مذهب القائلين بإمامة على ـ رضي الله عنه ـ، وخلافته نصاً ووصية [2]، وهو يختلف بين الاعتدال حيناً، والتطرف أحياناً أخرى.

وقد تكوَّن المذهب من المناصرين لعلى ـ رضي الله عنه ـ قبل توليه الخلافة حيث برز دور المتطرفين منهم أكثر فأكثر بعد توليه، وهم الذين تزعمهم عبد الله بن سبأ الذي كان يهودياً ثم أسلم نفاقاً، وهو الذي أسهم في فتح باب الغلو في التشيع، ووجد في المغالاة بالعقائد والأفكار وسيلته لبث السموم والأفكار المنحرفة، حتى زعم أن علياً حياً لم يمت؛ لأن الذات الإلهية حلَّت فيه، وأنه سيظهر مرة أخرى لتطهير الأرض من الجور، وطرحت قضية الرجعة بقوة، وهي فكرة موجودة في الديانة اليهودية بالنسبة لموسى ـ عليه السلام ـ، وفي الديانة المسيحية بالنسبة لعيسى ـ عليه السلام ـ لذلك كانت نظرية (السبأية) في ذلك العصر المتقدم من الإسلام عملاً تخريبياً، يتجلى فيه الأثر العميق للفكر اليهودي، لا سيما بعد ترحيل يهود الحجاز إلى الشام والعراق، ومن ثمَّ فإن فكرة المهدي المنتظر وجدت سوقاً رائجة في الأوساط الشعبية بين المسلمين عبر القرون الماضية[3].

وفي جميع الأحوال فإن الشيعة الغلاة والمتطرفين أقوى نفوذاً وأكثر عدداً، وهم أسبق من غيرهم إلى تقديم طرح نظري متكامل، فيما يتعلق بقضية السلطة تحت مسمى (الإمامة)، كما حدث في الشام والعراق وفارس؛ لأنهم في الغالب أحكم

(1) الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص18.
(2) عبد الجواد ياسين، السلطة في الإسلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص258 وما بعدها.
(3) إبراهيم حركات، التيارات الفكرية في صدر الإسلام، مجلة دار الحديث الحسنية، العدد الثالث، سنة 1982، ص419 -420.

تنظيماً، وأميل إلى استخدام السلاح والعنف؛ لتمرير مواقفهم السياسية مشفوعة بجبل هائل من النصوص المنسوبة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسائر الأئمة من أهل البيت حسب زعمهم.

2 ـ الخوارج

يقوم المذهب الخوارج على رفض التحكيم والطعن فيه، واعتزال على ـ رضي الله عنه ـ والدخول معه في حوار، فيما يتعلق بتأويل النص القرآني ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّه ﴾(سورة الأنعام/57)، وهو ما يعرف بمصطلح (الحاكمية)، وانتهى الأمر بهذه الفرقة إلى التمرد عليه، والخروج عن طاعته، ويعني الخروج في الفقه السياسي كل من خرج عن السلطة السياسية القائمة، بالقول أو بالفعل كالقيام بتحرك مضاد لقلب نظام الحكم، ولم يقم على ـ رضي الله عنه ـ بقتالهم أو محاربتهم على الفور، وإنما جادلهم جدلاً عقائدياً بشكل مباشر، أو عن طريق ابن عباس الذي يعد أكبر مفكري الإسلام في العصر الراشدي.

وإذا كان العربي من طبيعته أن يجادل في مسائل السياسة والحكم، كما دلت على ذلك أحداث بيعة أبي بكر الصديق وفتنة مقتل عثمان، فإن قضية التحكيم لا تقل خطراً في إثارة الجدل والخلاف بين الخوارج، ومخالفيهم من الشيعة والمعتزلة وأهل السنة .

إن أعظم خلاف بين المسلمين هو الخلاف على الإمامة، إذ ما سُلَّ سيف في الإسلام على أمر من أمور الدنيا، مثلما سُلَّ في الإمامة.

وقد أدي ظهور الخوارج على المسرح السياسي إلي جدل عقائدي، استمر عبر مراحل التاريخ إلى عصرنا الحاضر .

وإذا كان الاتجاه السياسي يجمع الخوارج على طريق واحد، فإن الاتجاه العقائدي المختلف فيه يفرق بينهم إلي حد، يبدو فيه التناقض أحياناً، وبهذا الصدد يبدو الأزارقة أولَ فرقة متطرفة ظهرت بين صفوف الخوارج، وقد ذهب بهم التطرف إلي جواز قتل الأطفال، والمتخلفين عن القتال، وكذلك نساء من ليس من مذهبهم، واستحلال الأمانة والوديعة المملوكة للمخالفين لهم في المذهب واعتبروها فيئاً .

3 ـ التوجه الصوفي

ينطلق الفكر الصوفي، قبل كل شيء، من القرآن الكريم الذي يحذر المسلمين من الاغترار بنعيم الدنيا، ويعدهم بحياة أسعد في الآخرة، إذا استعدوا لها بالعبادة

والعمل الصالح، وهذا تطرف وغلو في التصوف، ففي كل الأحوال ليست دعوة القرآن والإسلام إلي التقشف المطلق، فالتصوف الإسلامي الأصيل هو تصوف سني من عطاء الحضارة القرآنية، وليس مجلوبا من أفكار الهنود ولا الفرس، وإنما الذي طرأ أن هذه الأفكار أتت في فترة لاحقة عن طريق الدراسات الفلسفية، وتأثر بها الفكر الصوفي في المغرب والمشرق على حد سواء .

ومع دعوة الرسول ـ صلي الله عليه وسلم ـ وأغلب أصحابه المعتدلين إلي الاقتصار من متع الحياة على ما لا يصرف المسلم عن اهتماماته الدنيوية والاجتماعية، ولا عن تخصيص وقت كاف للعبادة التي هي مجاهدة النفس، فإن أبا ذر الغفاري انفرد بنظرية إلزام المجتمع بالزهد، والتخلي عما عدا الحد الأدنى من القوت اليومي لصالح المجتمع الإسلامي، وكان لها أثرها المباشر والبعيد على المستويات كافة في المجتمع .

وأبو ذر من المعروفين بالسبق إلي الإسلام، وبرواية الحديث، وقد سافر إلي الشام في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ،وقيل إن عبد الله بن سبأ أحد رؤوس النفاق اتصل به، ولفت نظره إلي ما يقوله معاوية عامل الشام، من أن المال مال الله، ولا يقول مال المسلمين، كأنه يريد بذلك أن يستأثر بهذا المال دونهم، ويتعلق بالسلطة الإلهية لحرمان الآخرين من هذا المال، وتأثر أبو ذر بهذا الطرح وتحمس له،وحزم أمره فدخل على معاوية فأخذ عليه ذلك، وتراجع معاوية إلي القول بأن المال مال المسلمين والتزم بذلك، ثم واصل أبو ذر في مقر إقامته بالشام، دعوته إلي الأغنياء بالتنازل عن أموالهم للفقراء، ووجد هؤلاء في ندائه قوة تساعدهم على حمل الأغنياء على التنازل عن أموالهم للفئات غير المحظوظة، مما اضطر معاوية في نهاية الأمر حفاظاً على سلطته، إلي أن يستأذن عثمان ـ رضي الله عنه ـ في ترحيله وإبعاده من أجل الحد من خطورة دعوته إلي التقشف المطلق، وغلوه في الزهد، فسمح له بذلك مع التوصية بحسن المعاملة .

وتقابل مع عثمان ـ رضي الله عنه ـ في المدينة، وقد حاول تبرير قرار إبعاده من الشام بقوله: لا ينبغي له أن يجبر الناس على الزهد أو دعوتهم إلى الاقتصاد في المعيشة، وأن من أدي الفريضة "الزكاة" قد برئت ذمته. ومع ذلك واصل هذا

الصحابي الصوفي دعوته، واختلف مع السلطة، وأخرج من المدينة، وكان أخراجه منها من أهم المآخذ التي أخذت على عثمان ـ رضي الله عنه ـ خلال الثورة ضده[1] .

4 ـ استغلال الدين في السياسة

يعتقد بعض الناس أن على المسلم أن يرجع كل شيء إلي دينه، بما في ذلك حياته الخاصة وموقفه السياسي، وما يمكن أن يتخذه من قرارات وتدابير، فكل شيء في نظر هؤلاء منصوص عليه ومنظّم في القرآن، فكان همٌّ جميع المفسرين محاولة التوفيق بين المواقف السياسية والمبادئ الدينية، ومن ثم فإن أصحاب هذا الرأي بحاجة ماسة إلي الإسناد إلي القرآن؛ لتبرير وتمرير المواقف السياسية والجرائم في حق الإنسان، فكم من جرائم ارتكبت باسم القرآن، كما تقول السيدة رولان "أيها الحرية كم تقترف من جرائم باسمك" .

منذ ذلك الوقت " عصر التأويل" ظهرت للوجود أربعة أحزاب سياسية، الأول موالي لعلى ـ رضي الله عنه ـ، ويعرف بحزب أهل البيت، والثاني موالي لمعاوية ويعرف بحزب الأمويين، والحزب الثالث مستقل لم يكن مواليا لهذا أو لذاك، وهو حزب الخوارج الذي يقول "لا حكم إلا لله" والحزب الرابع مناهض للخوارج، هذه الأحزاب كانت في أول الأمر سياسية، ثم تحولت إلي أحزاب دينية انبثقت عنها المذاهب الدينية الأربعة، الشيعي،والزيدي،والإباضي، والسني، كما نشأ علم الكلام في الأساس للدفاع عن العقيدة ضد غلاة الشيعة، والمتطرفين من الخوارج ودعاة الشعوبية والزندقة والدهرية والمرجئة، إلا أنه حاد عن الهدف الأساسي وانحاز للدفاع عن فرقة ضد أخرى، فاشتعلت نار الحرب بين الفرق الإسلامية، واتهم بعضها بعضاً بالكفر والإلحاد، وكان السبب الظاهر المصرح به هو الحرص على الدين والإخلاص له، كما لو لم يكن الدين واحداً بالنسبة لجميع المسلمين .

إن التطرف الذي تورطت فيه كل الفرق الإسلامية، سببه الإسراف في التأويل الذي تسرب إلي ثقافة الأمة في مظاهر وأشكال شتي، للغزو الشعوبي الصليبي؛ لأن الإسراف في الاجتهاد من علامات الزندقة ليخلع على الضلالة صفة الهداية .

وللرد على الفتن التي بثّها مندسون، ممن حملوا فكراً توارتياً أو فارسياً حلولياً ليبذروه بأشكال مختلفة في أذهان الأمة[1]، ظهرت دعوى تمنع مبدأ التأويل في

(1) مصدر سابق مشار إليه، ص418.

القرآن إلا بشروط خاصة، حتى يكون التأويل سليماً صحيحاً موافقاً ومتفقاً مع اللغة العربية ومقاصد الشارع، فالإسلام واحد والقرآن واحد، وهو أداة عجيبة من أدوات الرقى والحضارة، وهو المصدر الوحيد لسعادة الإنسان في كل عصر وزمان، فلا ينبغي أن يوجد أي خلاف بين المسلمين في فهمه وتأويله تأويلاً صحيحاً ومتحرراً، واجتماعياً فهماً وتطبيقاً .

5 ـ التعصب المذهبي

نشأت العصبية المذهبية في التاريخ الإسلامي مع تحول الخلافة إلي صيغة، تقترب من أنظمة الفرس والروم في الحكم، حيث حاولت المؤسسة السلطوية أن تلحق الموقف الفكري والكلامي والفلسفي والفقهي بدائرة نفوذها، وقد نشأت بفعل هذا الجهد الذي بذل من أجله المال والسلاح، تيارات سياسية من قبل العامة تقلد طريقة أو مذهباً وتتعصب له، وتخوض صراعات دموية في سبيله .

والخطورة ليست في المذاهب الفقهية، ولا في اتباعها؛ لأن ظهور هذه المدارس الفقهية لم يكن ارتجالياً ولا اعتباطياً، وإنما القرآن نفسه، في منهجه الكلي لتقرير الأحكام، يتطلب ذلك، والدارس لأصول الفقه يدرك حقيقة ذلك الأمر، ولكن الخطورة في التعصب لها كاعتقاد أن المذهب هو الشريعة، أو أن ينزّل المقلد لفظ الإمام منزلة لفظ الشارع، أو كما يقول بعض الناس: "كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو منسوخ أو مؤول" .

وبهذا التعصب المذهبي المتطرف، أقيمت الحواجز بين الكتاب والسنة الصحيحة وبين الناس، وأصبحت الشريعة في نظر هؤلاء تكمن في مقولات أئمتهم، وسبب ذلك ضعف الوازع الديني في نفوس المسلمين، وفتور الهمة وفشو الجهل وتمكن التقليد والترديد، والمقلد أو المردد لا يمكن أن يكون فاهما لما يقلد، ولو كان أستاذاً في مجاله، وخير مثال على ذلك الشيعي الذي يعتقد عدم وجوب صلاة الجمعة إلا إذا كان هناك إمام، فإذا لم يوجد الإمام فلا تجوز الصلاة. حيث جعل الإمام والإمامة شرطاً من شروط وجوب الصلاة، وهي في الواقع ليست من أصول الدين ولا هي فرع من فروعه .

(1) محمد أحمد الخطيب، الشعوبية والزندقة و أثرهما في ظهور العقائد المنحرفة، مكتب الأقصى، عمان ـ الأردن، ص5.

لقد نفر الشاطبي من التعصب المذهبي، واعتبره لوناً من ألوان التطرف، ونهض لمقاومته بصفته عالما منصفاً مصلحاً اجتماعياً يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، فعالج بذلك صورة من صور المغالاة في الدين عند الجاهل والمقلد، وبيّن القواعد التي تردهم إلي أصول الوسطية والاعتدال، وقد تبني هذا المنهج وعمل به، ونص عليه مبدأً عاماً بقوله: "إن لكل علم عدولاً وطرفي إفراط وتفريط، والطرفان هما المذمومان والوسط هو المحمود"[1].

ثانيا : التيارات الإسلامية المعاصرة

تعتبر جماعة الإخوان والتنظيم والتكفير والهجرة والتحرير من ضمن التيارات الإسلامية المعاصرة، وقد انزلقت هذه الجماعات، بل انغمست في تيار التطرف والعنف نتيجة العفوية، والعشوائية، وتحسين الظن بالعقل، والفعل ورد الفعل عبر تحركاتها ومنطلقاتها النظرية والعملية، ولست معنيا في هذا البحث بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أفرزت الجماعات الإسلامية، أو أسهمت في تكوينها، وإنما أريد الإشارة لتقويم موقفها من ظاهرة التطرف والعنف في المجتمع الإسلامي، ونبدأ بما يأتي:

1 . موقف الإخوان المسلمين

هناك تيار تقليدي محافظ في جماعة الإخوان المسلمين أدان الاغتيالات والأعمال الفردية المتهورة، وأنكر صلة الإخوان بأعمال الاغتيالات والإرهاب، وأمسكوا عن القول بكفر الحكام والمجتمع إلا في حالة واحدة، وهي إنكار ما ثبت من الدين بالضرورة، وهناك تيار آخر متطرف، يعتمد على تكفير الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، وتكفير من يوافقهم، ولا ينكر ذلك منهم ولو بقلبه، وقد تبني هذا الفريق العنف وانتصر له، واستخدم السلاح لتحقيق أغراضه و أهدافه، وهم في الغالب من الشباب المتسرعين والمتحمسين الذين غابت عنهم أدوات الفهم الصحيح للقرآن وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ومن مظاهر التطرف عند الإخوان قولهم: إن " الحاكمية من خصائص الألوهية، ومن ادعي الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولي خصائص الألوهية، سواء ادعي هذا الحق فرد أو طبقة أو حزب أو هيئة أو أمة ..."[2] .

---

(1) الشاطبي: الموافقات، ج3، ص308 .
(2) سيد قطب : في ظلال القرآن، ج4، ص199.

والمعنى الحقيقي للحاكمية أن يكون القرآن والسنة الصحيحة هما مصدر التشريع في الإسلام، وأن الأمر شورى بين جميع أفراد المجتمع الذين يؤمنون بالمبادئ الأساسية في التوحيد والرسالة .

2 . موقف تنظيم الجهاد

يبدأ تنظيم الجهاد من حيث ينتهي الإخوان، فهم لا يؤمنون بسياسة النفَس الطويل في التربية والإعداد الذي يعتمد عليه الإخوان، بل يتوجهون مباشرة إلي التطرف واستخدام العنف، وهذا يدل دلالة واضحة على تأثرهم بالتجارب التاريخية للحركات الإسلامية .

وقد وضعت هذه الحركة فكرها موضع التطبيق، حين قامت باغتيال السادات سنة 1981 بعد الحكم بكفره، إثر تبنيه مقولة: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين[1].

وجماعة الجهاد لا تكفر جماهير المسلمين، بل الحكام فقط، ولكنها توجب أن يغيروا الواقع المخالف بالقوة [2] .

3 . موقف جماعة التكفير والهجرة

هذه الجماعة من أكثر الجماعات الإسلامية تطرفاً وانغلاقاً، فهي تعتقد أن كل المسلمين كفرة منذ القرن الرابع للهجرة لأنهم عصاة، وتتبنى فكرة الخوارج في الاعتقاد، ولا تعتد بالتاريخ الإسلامي لاعتقادها أن وقائعه غير ثابتة، وترفض أقوال الأئمة والإجماع والقياس، وتركز على الاحتجاج بالقرآن فقط، وتقوم الجماعة على الطاعة العمياء، والفردية المطلقة .

وقد وضعت هذه الجماعة فكرها هي الأخرى موضع التطبيق، عندما اختطفت وزيراً سابقاً في الحكومة المصرية وقتلته في عام 1977، وقد كان من علماء جامعة الأزهر، ولا ذنب له سوى رفضه لأفكار هذه الجماعة، وأن العنف في كل الأحوال ضد العقل، وأن العقلانية هي البديل للعنف والتطرف .

(1) محمد السعدي: العنف السياسي في الحركات الإسلامية المعاصرة، ص512 ، ندوة التيارات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، المركز الإسلامي – مالطا، منشورات رسالة الجهاد، سنة 1986 .

(2) المصدر نفسه، ص511 .

لقد احتكرت هذه الجماعة وغيرها الإسلام، واستأثرت بفهمه على نحو يقترب من إدعاء الوصاية عليه، وتورطت في إطلاق الأحكام على الآخرين، وتعميمها من منطلق حدي إقصائي يستسيغ ألفاظ الكفر والشرك، مما دفع بعض العلماء إلي تشبيههم بالخوارج؛ لما بين الطائفتين من قواسم مشتركة في المميزات والخصائص متمثلة في التعامل بالعنف والشدة والغلظة، وهو سلوك ظاهر وملحوظ للعيان في القديم والحديث .

الاعتدال والوسطية

يجب على المسلم أن يطبع فكره وحياته وسلوكه بالطابع المميز لحضارة الإسلام، وهو طابع الاعتدال والتوسط المنافي لكل إسراف وشطط، والترفع عن كل تهريج ولغط ففي نطاق المبدأ الإسلامي "الوسط" لا كبت ولا إباحية، وإنما علاقات شرعية أخلاقية، ولا محل للإسراف والتبذير، كما أنه لا محل للاستبداد ولا محل للغلو في الدين أو المغالاة والتطرف، كما أنه لا محل للتطاول على قدسية الدين .

وحيث إن الأمة الوسط هي الأمة المثالية التي تقوم الحياة فيها على قاعدة التوازن والانسجام والتكامل والتناسق التام، فقد اختار الله لنا أن نكون أمة وسطاً رحمة بنا، وحفاظاً على وحدتنا، وضماناً لاستمرار حياتنا، وحماية لنا من أخطار التطرف الذي يتهددنا فقال تعالي: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عليكُمْ شَهِيدا﴾ (سورة البقرة/143).

الخاتمة

ظاهرة التطرف أصبحت إحدى أهم الظواهر السلبية في مجتمعنا العربي الإسلامي، ولست من المتحمسين لإدانة هذه الظاهرة، بالرغم من أنها ظاهرة مرضية خطيرة على حياة الأمم والشعوب؛ لئلا يشتد خطرها، ويتفاقم أمرها، وإنما يجب أن نبحث عن أسبابها الحقيقية بكل موضوعية، ومن بينها الجهل بأدوات الفهم للقرآن وسنة رسوله الكريم، وتحسين الظن بالعقل، وقد يكون مرده إلي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بعض المجتمعات، وربما يكون مرده إلي غلو الإفراط الذي يقف أصحابه عند ظواهر النصوص "الحرفية" مهدرين أدوات النظر العقلي في النص، وغلو التفريط" الوضعي المادي العلماني" الذي يصنع أصحابه صنيع

الباطنية القدماء، عندما يعممون التأويل ويطلقونه من ضوابطه اللغوية وشروطه الموضوعية، متجاوزين بذلك أحكام القرآن في التشريع والعقائد والأخلاق.

ولعل العلاج يكمن في الحوار، ودراسة بنية التنظيمات التي اعتمدت على أسلوب العنف والتطرف، أو توسعت وبالغت فيه، وقد وضع الغزالي قاعدة للعدالة فيما يتعلق بالتطرف والعنف بقوله:" إنه من أقبح الظلم أن تساس الأمور بالشدة، إذا كان من الممكن أن تساس باللين والرفق".

كما يكمن العلاج كذلك في إصلاح مناهج الثقافة في مجتمعنا، بحيث تكون تلك المناهج نابعة من ذاتنا، ومعبرة عن واقعنا الفكري .

إن مناهجنا التربوية والتعليمية، عندما تتجاهل أو تقلل من دور الدين في حياة الإنسان، إنما تتحدى مشاعره، وتدفعه دفعاً قوياً نحو التطرف، وعندما يواجه ذلك التطرف بالإنكار والتجاهل، فعندئذ يصبح التطرف عميق الجذور في نفسية الإنسان، وقد يتطور الأمر فيصبح "منهجاً تربوياً" قد يأخذ موقعه بين المناهج التربوية الأكثر قبولاً عند الشباب، وقد يستحيل تطويق أخطاره على جميع المستويات .

إن المؤسسات العلمية و التعليمية تتحمل اليوم مسؤولية جسيمة في تصحيح المسيرة الفكرية، وفي إعادة ثقة الشباب بمناهجهم وثقافتهم، وفي إشعارهم بالأمن والاطمئنان على أنفسهم ومستقبلهم، وفي هذه الحالة لن يجد الشاب ما يدفعه للتطرف، ولن يشعر بالعزلة والاغتراب داخل مجتمعه، وعندئذ سيوجه هذا الشاب كل طاقاته للبناء المتوازن السليم، وسوف يصبح الحوار أسلوباً للمعرفة، والنقاش منهجاً للتفكير، وبهذا نستطيع أن نقدم الإسلام على حقيقته بعيدا عن كل التيارات الهدامة، والأفكار الوافدة التي تضعف المسلمين، وتهدم الإسلام من الداخل بطمس معالمه، وإبعاده عن المجتمعات الإنسانية.

